جزيرة لانكاوي – مملكة ماليزيا

19th -23th November 2017

عنوان البحث

منهجية عرض العقيدة في وقتنا المعاصر

مقدمه الدكتور/ مُحَمَّد السيد مُحَمَّد عبده

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين جامعة الإنسانية

(ولاية قدح بماليزيا)

بريد الكتروني: ajaib_20256@yahoo.com.au

تليفون: 0060125683175

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله- صلى‌الله عليه- وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن العقيدة الإسلامية هي أس الإسلام وأساسه، أرشدنا إليها وحي‌الله المنزل على رسوله ﷺ- فتعلمها عليه وسلم- فتعلمها الصحابة من رسول‌الله ﷺ- وعرضها عليهم بأسلوب نقي، لم يدخلها أراء فلسفية لم يدخلها أراء فلسفية أو فارسية، حتى أصبحت تلامس عقولهم وقلوبهم، مما كان لها أثر على حياتهم التي عاشوها.

وبمرور الزمن شاب العقيدة ألفاظ غريبة أدخلها الفلاسفة وعلماء الكلام، فأضحى عرض العقيدة على المسلمين-العوام والمتعلمين- لا يفهمها ولا يقوى على فك ألفاظها إلا المشتغلون بعلوم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ودقائق التصوف، بل باتت مادة التوحيد والعقيدة عقبة كؤود يخاف منها الطلاب، فبدل أن تسمى بالعقيدة باتت في نظرهم التعقيد، وذلك لكثرة الألفاظ الجامدة، وكثرة اختلاف المدارس الإسلامية حول فروع العقيدة التي لا ينبني عليها عمل بل جدل ونقاش واعتراضات. نعم قد تكون هذه الألفاظ هي الأنسب لمواجهة أقوام يستخدمون هذا السلاح، ولكن الآن قل هذا، وأصبح المنهج التجريبي القائم على المادية هو المسيطر في واقعنا المعاصر. ولذا ارتأيت أن يكون عنوان البحث"**منهجية عرض العقيدة في وقتنا المعاصر**"

إشكالية البحث

- هل من أسلوب ومنهج عقدي يجمع بين الجانب النظري والعملي؟
- ما الأدوات التي تساعد المسلم على فهم عقيدته لتلمس قلبه ووجدانه؟
- وما أسباب انقطاع سلوك المسلم وأخلاقه عن العقيدة في حياته اليومية؟

وقد هدف البحث إلى إبراز المنهج الأسمى الذي يجمع بين الفكر والوجدان، وكذلك اقتراح أدوات تساعد المسلم على تأسيس عقيدته لكي تلامس قلبه.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة اشتملت على أهمية البحث وإشكاليته وأهدافه.

التمهيد: تناولت فيه التعريف بالمنهج والعقيدة.

المبحث الأول: المدارس الإسلامية ومنهجها في عرض العقيدة.

المبحث الثاني: الوحي الإلهي ومنهجه في عرض العقيدة.

المبحث الثالث: نماذج من المعاصرين الذين تناولوا العقيدة درسا وغرسا.

الخاتمة: اشتملت على النتائج والتوصيات.

تمهيد: وفيه مايلي

تعريف المنهج لغة: المنهج لفظ مشتق من الفعل نهج، جاء في لسان العرب: نهج طريق نهج بين واضح، ومنهج الطريق وضحه، قال تعالى"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[1]" قال ابن عباس: سبيلا وسنة[2]. فهو الطريق الواضح البين الموصل إلى الغرض المطلوب.

اصطلاحا: تعددت تعريفات المنهج حسب مفهوم كل قوم، غير أنه يمكن إرجاع هذه التعاريف إلى" الطريق المؤدي إلى التعريف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقول وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتائج معلومة"[3].

– **العقيدة** ، وردت في كتب اللغة على عدة معان وهي الربط والإحكام والشدة. جاء في أساس البلاغة، عقد بناء معقود ومعقد، وتعقد السحاب إذا صار كأنه عقد مبني"[4] وفي معجم الرائد: عقد يعقد عقدا؛ الحبل أو نحوه جعل فيه عقدة، وعقد البيع أو اليمين أو العهد أو نحوها أحكم شده وأكده[5] وجاء في المعجم الوسيط؛ العقيدة هي الحكم الذي لايقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل[6] ، وقد وردت مادة عقد في القرآن ويقصد بها الإحكام والربط بين شيئين، والتوثيق. قال تعالى:"ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله "[7] وقال تعالى:"يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود "[8]. يتبن مما سبق أن المعنى اللغوي للعقيدة يدور حول الربط والقوة والشدة، فهي تلزم صاحبها ولاتنفك عنه، ولا ينفك عنها بسهولة حتى لو تعرض للتنكل وأنواع الابتلاءات، فلا سبيل إلى تغيير ما في القلب إلا بالحجة المقنعة.

العقيدة اصطلاحا: تعدد تعريف العقيدة في اصطلاح العلماء، بعض العلماء نحى منحى السابقين من متكلمي السادة الأشاعرة المتأخرين كالإمام الإيجي والجرجاني والدواني. فقد عرفه الإمام الإيجي

---

(1) سورة المائدة: الآية رقم 48.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة نهج، ط3، 1414هـ، دار صادر(بيروت). المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة(القاهرة)، ج2/ 957.

(3) انظر: العلم والبحث العلمي: حسين عبد الحميد، ص143.

(4) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الطبعة الأولى 1419هـ، دار الكتب العلمية(بيروت) ج1/ 668.

(5) انظر: معجم الرائد: حسان مسعود، ط سنة 1992م، دار الملايين.

(6) انظر: المعجم الوسيط، ج2/ 614.

(7) انظر: سورة البقرة الآية 235.

(8) انظر: سورة المائدة الآية 1.

بقوله: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه "[1] وعرفه الجرجاني بقوله: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل"[2] وقد وافق بعض المعاصرين هذا التعريف كا الشيخ المطيعي المطيعي في حاشيته على الخريدة، والشيخ عليش في الفتوحات الإلهية.، وعلى هذا فالمراد بالعقيدة هنا هو عين المعتقد الحاصل في القلب، وذلك في مقابل الأحكام العملية، والتطبيقات الشرعية التي تهتم بها علوم الشريعة والفقه والنظم.

بينما نجد تعريفات أخرى اتجه أصحابها إلى وجهات مستحدثة كالشيخ شلتوت حيث عرف العقيدة بقوله" الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولًا قبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة، ومن طبيعتها تتضافر النصوص الواضحة على تقريرها، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة"[3]. وعرفها أيضا الشيخ الجزائري بقوله" مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازما قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا"[4]. من خلال هذه التعريفات يتبن أن العقيدة تمثل للمسلم الجانب النظري أو القاعدة المعرفية المتصورة في العقل والمركوزة في القلب، ونجد أيضا أن مصدر العقيدة هو النص الصحيح المدعوم بالموافقة العقلية والإنسجام مع الفطرة الإنسانية.

كما نلاحظ أيضا أن بعض العلماء خلط بين تعريف العقيدة وعلم الكلام، والحقيقة أن العقيدة لا هي علبم الكلام ولا هي غيره، فعلم مرتبط بالعقيدة لحراستها ورد الشبه عنها، وهذا معناه أن موضوع علم الكلام علوم العقيدة ولكنه أضاف إليها ماتندفع به شبه المشككين والضالين، وهذه الإضافة قابلة للنقد لأنها ليست من الوحي، أما الوحي فلا. وما ورد عن بعض العلماء في ذم علم الكلام أنما يقصدون الكلام المختلط بالفلسفة والمنطق القابل للصواب والخطأ المخالف للكتاب والسنة والعقل"[5]

والعقل"[5]

---

[1] انظر: المواقف في علم الكلام: الإيجي، ص7.

[2] انظر: التعريفات: الجرجاني، تحقيق: عبد المنعم حنفي، ط سنة ١٩٩١م، دار الرشاد، ص174.

[3] انظر:الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت ص9.

[4] انظر: عقيدة المؤمن: أبو بكر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية سنة 1981م، ص19.

[5] انظر: العالم والمتعلم: أبو حنيفة ص34، الرد على الجمهية: أبو سعيد الدارمي ص259، الفرقان بين الحق والباطل: ابن تيمية، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، ج110/1.

المبحث الأول: أبرز المدارس الإسلامية ومنهجهم في عرض العقيدة.

إن من ينظر إلى واقعنا المعاصر يجد أن هناك مدارس إسلامية عديدة على الساحة تعرض العقيدة الإسلامية وفق منهج قررته هذه المدارس سواء كان هذا المنهج قريب من منهج القرآن أو بعيدا عنه، مناسب للمسلم أو غير مناسب. وقد اخترت في هذا البحث أبرز المدارس الموجودة على الساحة وهي كالتالي.

1- مدرسة المكلمين: ونعني بهم الذين اشتهروا بهذا الإسم في وقتنا المعاصر، وهم الأشاعرة والماتريدية، وسموا بالمتكلمين لأنهم"تكلموا فيما سكت عنه السلف من مسائل العقيدة "[1] ولم تكن هذه الصفة" المتكلمين" مختصة بالأشاعرة والماتريدية فقط، ولكنها كانت صفة للمعتزلة أيضا -وهم الذين غلو في تقديم العقل على النقل – إلا أنهم انتهوا على يد الإمام الأشعري.

وقد ظهرت مدرسة المتكلمين على يد الإمام الأشعري(ت 324) ثم من بعده تلامذته ومن سار على مذهبه. وكان غرض هذه المدرسة؛ الدفاع عن عقيدة السلف الصالح، ومواجهة النزعة العقلية المفرطة للمعتزلة، ومواجهة فرقة الخوارج والشيعة والمجسمة والمشبهة والحشوية، وكان الإمام الأشعري ومن سار على نهجه من بعده حتى القرن الخامس"يعتمد على النقل بكل عمق في فهمه، وعلى العقل بكل تريث وحذر في استعماله"[2] وهذا ما رأيناه عند الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن عند رده على من زعم أن إثبات وحدانيةالله تعالى مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل لأن القرآن كلامالله-عز وجل- وجل- ولا يصح أن يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولا[3].

بيد أنه منذ القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع تقريبا، بدأت مرحلة جديدة عند مدرسة المتكلمين فاختلط علم الكلام بالفلسفة، وظهرت موسوعات كلامية كبرى، وظاهرة التفسير والتحشية، وساد استخدام المنطق اليوناني، وتسريب الروح الاعتزالية والمنهج العقلي إلى كثير من المذاهب السنية، وقد تحدث الإمام ابن خلدون عن متأخري المتكلمين فقال:" خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة؛ لعرضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الألهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والألهيات وخلطوهما فنذًا واحدًا، وقدموا الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم الروحانيات وصار الكلام مختلطًا بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها كأن الغرض من

---

[1] انظر: العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، د. محمد الكبيسي، الطبعة الأولى، 1416هـ، مطبعة الحسام(بغداد) ص45.

[2] انظر: مناهج التأليف وتطبيقاتها في الفلسفة الإسلامية: د. أنس الزفتاوي، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم بالقاهرة عام 2009م، ص323.

[3] انظر: إعجاز القرآن: الباقلاني، ج1/ 22.

موضوعهما ومسائلهما واحد، والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب؛ لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاه من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه"[1] وعلى هذا فمن أبرز ملامح مدرسة المتكلمين في عرض العقيدة الإسلامية:

1- النظر إلى الجوانب النظرية على حساب الجوانب العملية، وهذا مانراه في غالب مباحث العقيدة. فنجد مثلاً في مبحث الألهيات أغلب الحديث عند المتكلمين حول مواضيع"القضاء والقدر"،"وعلاقة الذاب بالصفات"، والصفات الخبرية، وهذا كله لا علاقة له بميادين التكليف والعمل، بل كان الغالب في هذه الموضوعات الجدال والنقاش إلى أن وصل إلى حد التكفير؛ في حين هناك مسائل في الألهيات متعلقة بالجانب العملي غفل عنها مذاهب المسلمين مثل:"إفراد الله تعالى في العبودية والخضوع والطاعة، والطاعة، أو إفراده في التشريع، في التحليل والتحريم"[2]. وكذلك في مسائل السمعيات المتعلقة باليوم الآخر، نجد القرآن الكريم يصف هذا اليوم وكأنك تراه رأي العين، فكلما قرأت آية عذاب استعذت بالله وعقدت التوبة، وكلما قرأت آيات الجنة كلما هزك الشوق ودفعك إلى المزيد من الطاعة، أما في كتب المتكلمين لاتكاد تجد هذه الروح. فمثلاً عذاب القبر أهو بالروح والجسد أم بالروح فقط؟ والميزان أحقيقة أم مجاز؟ وأين مصير أولاد الكفار؟ فهذه الأسئلة وغيرها لا يترتب عليها عمل.

2- التطور الذي حدث في مادة ومنهج وموضوعات علم العقيدة.

– ففيما يتعلق بمادته: نجد أنه اختلط بانتاج الفلاسفة المسلمين في الألهيات، بل في البحوث الطبيعية، وكان ذلك بغرض" الرد على ما تضمنه من أراء مخالفة للعقيدة الإسلامية ودعم المواقف الكلامية ببعض أفكار هؤلاء الفلاسفة فيما سوى ذلك"[3] وقد بلغ هذا التطور مبلغاً عظيما على يد الإمام الرازي.

– فيما يتعلق بالمنهج: نجد أن معظم المتلمين اعتمدوا على المنطق الأرسطي، "واستخدموا أساليبه الصورية إلى جانب المناهج الكلامية التقليدية التي استمد أكثرها من مناهج الفقهاء ومباحث أصول الفقه"[4] وهذا ما نراه كثيرا عند إمام الحرمين الجويني، وقد وجدنا آثار اعتماد متأخري السادة الأشاعرة على المنطق الأرسطي أنهم أخذوا بنظرية"الدور"[5] الاعتزالية، وما لها من انعكاس خطير

---

[1] انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب: ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط2، 1408،دار الفكر(بيروت) ص653.بتصرف

[2] انظر: العقيدة الإسلامية في القرآن: الكبيسي، ص54.

[3] انظر: المدخل لعلم الكلام: د. حسن الشافعي، ص108.

[4] انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. سامي النشار، المقدمة.

[5] انظر: د. موسى الموسوي: الثورة البائسة: ، طبع سنة2007م، ص 162.

على المناهج الكلامية، الأمر الذي أدى إلى مقاومة هذه التحولات المنهجية بكل قوة من مذاهب متعددة ومنهم الإمام السيوطي الأشعري، وابن تيمية الحنبلي وابن الوزير الزيدي[1]

– من حيث المصطلحات: من الطبيعي بعد هذا الامتزاج بين الكلام والفلسفة في مادة علم الكلام ومنهجه وموضوعاته أن تنموا المصطلحات الكلامية، وتزداد ارتباطًا بالفلسفة بعد أن كانت في غالب أمرها قرآنية فقهية، وهذا التغيير نراه عند الإمام ابن فورك في كتابه" الحدود في الأصول" وكتاب الآمدي ت632 هـ. في كتابه"المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين" فنجد مصطلحات كثيرة مثل الجوهر، والعرض، والهيولي..الخ لا يمكن أن يفهمها كل الناس، صعبة على ذوي الاختصاص؛ حتى بقيت الفجوة قائمة بين المتكلمين وجمهور المسلمين.

وهكذا مرت مراحل تطور علم الكلام من ازدهار إلى مرحلة فتور وتقليد وجمود وخاصة في بداية القرن العاشر الهجري وحتى القرن الثاني عشر إلى أن ظهرت بوادر وهزة جديدة ولدت حركة جديدة حديثة مثل الإمام الدرديري، والإمام السنوسي، وشيخ الإسلام مصطفى صبري، والإماممُحَمَّد عبده، والشيخ الغزالي، والشيخ القرضاوي وغيرهم ساهموا–وما زال– في إعادة عرض العقيدة عرضا يلامس العقل والنقل.

من خلال ما سبق نلاحظ أن طريقة عرض العقيدة مدرسة المتكلمين المتأخرين–وما زال هناك من ينتهج نهجهم– كانت ممتزجة بين النقل والفلسفة، ورغم أن هناك ما برر هذا الخلط والامتزاج بأن من من فعل هذا معذور بسبب ظهور الطوائف المبتدعة وكثرة جدالهم مع علماء المسلمين، في المقابل حذر كثير من المعاصرين الأشاعرة واستنكروا هذا النهج، ومن هؤلاء الإمام السنوسي ت895 هـ.، حيث قال:" وليحذر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل ما هو كفر صريح من عقائدهم التي ستروا نجاستها بما بينهم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات مثل كتب الإمام الفخر، والبيضاوي"[2]، وهذه الكتب وغيرها إن كانت صالحة للعلماء والمتخصصين في استخلاص ما فيها فإنها غير صالحة لجمهور المتعلمين الذين يحتاجون إلى عرض العقيدة بما هو أبسط بكثير. – كذلك نقدنا لهذه الكتب ليس دعوى إلى إهمالها أو عدم العناية بها من جانب المتخصصين؛ بل على العكس إنها دعوة إلى تحديث هذه الكتب عن طريق عرضها عرضا حسنا ملائما للعقول، فكتب التراث في علم الكلام هي الزاد الأساسي للكاتب المسلم.ولذا **فموقفنا من كتب التراث**: أننا لا نقبلها كلية، ولا نرفضها كلية؛ فلا

---

[1] انظر: ترجيح أساليب القرآن، ص50، درء تعارض العقل: ابن تيمية، ج1/ 4.

[2] انظر: شرح متن السنوسية مع حاشية الدسوقي، ص70، 71، ونقله أيضا ساجقلي زادة في ترتيب العلوم، ص148.

شك أن كتب التراث واكبت عصرها، وأدت دورها تماما وما زالت حتى الآن قادرة على أداء أدوار أخرى في عصرنا، ولكن لو عرضت بصورة جديدة نحدد ملامحها فيما يأتي:

- اهتمام المتخصصين من علماء العقيدة بهذه الكتب وعرض ما فيها بأسلوب مناسب لمشكلات العقيدة الراهنة.

- استبعاد ما في هذه الكتب من مشكلات خلافية أجهدت الفكر الإسلامي طويلًا، ثم تبين بعد ذلك أن الخلاف كان لفظيا لاحقيقيا.

- تنقية هذه الكتب من الأخطاء العلمية التي أثبت العلم الحديث بالتجربة أنها خاطئة، وذلك مثل حديث صاحب المواقف عن مباحث علم النفس وعلم الطبيعة من خلال حديثه عن الجواهر والأعراض؛ وهي أبحاث خطأها العلم الحديث، إلا أن الرجل له الفضل في معالجة هذه المشكلات على قدر الإمكانات المتاحة في عصره.

- محاولة ربط الأجيال الحديثة بهذه الكتب عن طريق عرض نماذج منها وتمرين الطالب على القراءة فيها؛ إذ لا بد أن تظل هذه الكتب الدرع الواقي في الدفاع عن الإسلام- ولكن بالمنهج الذي أشرنا إليه- ولن يتأتى ذلك إلا بتربية أجيال قادرة على فهمها متمرسة على القراءة فيها، ولكن ما نرفضه نحن عرض مسائل العقيدة كلها من خلال هذه الكتب وحدها وبواقعها الراهن.

كذلك نقد مذهب المتكلمين في عرض العقيدة لا يعني هضم جهدهم المشكور، ومساعيهم الحميدة في الرد على أهل البدع كبدعة الرفض والباطنية والتصدي لليهود والنصارى، والفلاسفة الملحدين، وهذا المذهب -بفضل وسطيته- انتشر في ربوع العالم الإسلامي متمثلًا في مؤسسات عريقة تحمل راية الإسلام الوسطي مثل الأزهر الشريف في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، والقيروان، وكذلك في الهند وغيرها، إلا أننا نريد تطوير في عرض العقيدة الإسلامية من حيث المنهج والمادة والموضوعات التي تلمس عقل وقلب المسلم، وهذا لايأتي إلا من خلال منهج القرآن الكريم.

ثانيا: المدرسة السلفية

لفظ السلف عند علماء اللغة يدور حول الماضي والمتقدم. جاء في لسان العرب؛ السالف: المتقدم. وفي المعجم الوسيط: كل من تقدمك من آبائك وذووي قرابتك في السن أو الفضل[1].

وفي الاصطلاح: جاء في كشاف التهانوي؛ السلف اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره كأبي حنيفة وأصحابه فإنهم سلف لنا[2]. وأيضا عرف الإمام الباجوري لفظ السلف الصالح بقوله:

---

[1] انظر: لسان العرب، مادة سلف. المعجم الوسيط، ص444.

[2] انظر: موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم: التهانوي، ت: د.علي دحروج، ط1، 1996م، مكتبة لبنان(بيروت) ج1/ 968.

من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم[1] ومن خلال هذا التعريف اللغوي والاصطلاحي نلاحظ أن لفظ السلف مصطلح أطلقة المتأخرون على المتقدمين ولم يكن يعرفه المتقدمون أنفسهم، وهذا الإطلاق لم يأت على أساس منهجي واضح وإنما هو إطلاق لغوي لم يراع فيه غير معناه اللغوي.

وقد اختلف العلماء المعاصرون في تحديد مدلول لفظ السلف، وهذا أمر طبيعي، لأن السلف ليسوا مدرسة عقدية أو فقهية، وليسوا مذهبا مجدد المعالم لكي يمكن حصرهم بإطار معين، وإنما السلف مصطلح أطلقة المتأخرون على المتقدمين ولم يكن يعرفه المتقدمون أنفسهم.

ولذا فالسلفية عرفها الدكتور راجح الكردي على معان ثلاثة:

- سلفية زمانية: تطلق على المجموعة المتقدمة من أمة الإسلام والصحابة وتابعيهم بإحسان وتابعي التابعين من أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالفضل في خبر الرسولﷺ-. — سلفية منهجية؛ حيث سلفية منهجية؛ حيث كان لهؤلاء المتقدمين منهج في فهم الإسلام وكان هو المنهج الوحيد، ثم حدث فهوم أخرى نتيجة دخول الأعاجم في الإسلام ودخول الفلسفة، ومن ثم أصبحت السلفية علامة التزام نهج الصحابة وتابعيهم في فهم الإسلام-دون الفهوم المحدثة- فكل من التزم هذا المنهج فهو سلفي مهما تقدمت به العصور. — سلفية مضمون: المنهج السلفي في أخذ النصوص وفهمها أثمر مواقف علمية وسلوكية أهمها ما يتعلق بقضايا العقيدة المتعلقة بالله وسلطانه والقدر ونحوها، فمن التزم التزم بهذه المضامين مع ذلك المنهج فهو السلفي"[2] واختلف الدكتور البوطي في تعريف السلفية فقال: السلفية مضمونها مجموعة أفكار اعتقادية وأحكام سلوكية تم تجميعها من التراث الإسلامي الذي وضعه العلماء السابقون، ولم يتم هذا التجميع أو الانتقاء بناء على فحص علمي، وإنما بناء على أهواء هؤلاء المنتمين"[3] ويطلق هذا المصطلح في وقتنا المعاصر على كل من يتبع الشيخمُحَمَّد بن عبد الوهاب.

ومن خلال ما سبق يتبن أن مصطلح السلفية من المصطلحات الذي لا يوجد اتفاق حول مضمونها في الدوائر الفكرية في واقعنا العربي والإسلامي المعاصر، فهي عند البعض مرادفة لجهود الإصلاح الإسلامي، "حيث يصنف الكثيرون جمال الدين الأفغاني،ومُحَمَّد عبده، والكواكبي على أنهما اتجاهات سلفية، وعند البعض الآخر السلفية مقابل للتقدمية، والعصرية والمدنية والعلمانية"[4].

---

[1] انظر: حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص202.

[2] انظر: الاتجاه السلفي بين الإصالة والمعاصرة: د. راجح الكردي، دار عمان(الأردن) طبع سنة 1989م، ص12-16.

[3] انظر: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، ط سنة 1988م، دار الفكر(دمشق) ص40.

[4] انظر:السلفية في مصر تحولات ما بعد الثورة: هاني يسيرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام(القاهرة) العدد 22: 2011م.

سمات المدرسة السلفية في عرض العقيدة

1- عدم مراعاة العصر الذي يعيشه المسلم: نجد أن بعض المؤسسات التي تتبنى المنهج السلفي في معالجة قضايا العقيدة تكاد تغفل تماما واقع المسلم المعاصر لغة ومنهاجا وتحديات، فالكتب التي تدرس في المجالس والمحاضرات هي كتب كتبها علماء قدامى غالب ما فيها صنفت للرد على المخالفين في بعض أبواب العقيدة، مستخدمة لغة ذلك العصر وأساليبه في الحوار، فنجد مثلاً في مبحث الإلهيات: قد أوغلوا في مسائل غيبية دقيقة كالصفات الخبرية[1] ، وقد كرسوا كثيرا من جهودهم وطاقاتهم، بل وألفوا فيها الكثير من المصنفات كالتوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة، والرد على المريسي للدارمي، والرسالة التدمرية لابن تيمية، وغير ذلك من الكتب التي تناولت قضايا لا وجود لها في عصرنا، ولم تشكل اهتماما لدى عامة المسلمين، وإنما هذه الكتب أشبه بكتب الفرق والخلاف. 2- زيادة الكثير من المسائل المرتبطة بالعقيدة، والتي لا وجود لها بالوحي، وإعطائها مساحة واسعة من خارطة العقيدة الإسلامية.

مثال: حديث الجارية؛ فلا تكاد تجد كتابا من كتبهم إلا وفيه شرح وتفصيل لهذا الحديث وتأكيد على بعض رواياته التي قد تنفعهم في صراعهم مع مدرسة المتكلمين.

وخلاصة هذا الحديث: أن رجلًا كانت له جارية فضربها ثم جاء إلى رسولﷺ- فقال: أفلا أعتقها؟ وسلم- فقال: أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أينالله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ أنا؟ قالت: أنت رسولالله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة[2] وفي بعض طرق الحديث"فأشارت إلى السماء" وفي رواية أخرى أنه-عليه الصلاة والسلام- قال لها: أشهدين أن لا إله إلاالله؟ قالت: نعم"[3] تعاملت تعاملت أهل الظاهر من هذه المدرسة مع هذا الحديث وكأنه أصل الدين وركنه ا لركين لاسيما روايته الأولى؛ فقد عقد ابن منده- رحمهالله- في كتابه"الإيمان" بابا خاصا تحت عنوان"باب ذكر ما يدل على أن على أن المقر بالتوحيد إشارة إلى السماء، بأنالله في السماء دون الأرض... يسمى مؤمنا"[4] ثم ساق حديث الجارية. ومن المعاصرين الشيخ ناصر الدين الألباني، فقد دار نقاش مع الدكتور البوطي حول هذا الحديث، قال الألباني: نحن نسألك بسؤال الرسولﷺ- للجارية، أينالله؟ فإذا أجبت بالجواب أجبت بالجواب الذي نؤمن به وجعله الرسولﷺ- دليل إيمان الجارية فقد أصبت الحق، وإن أنكرت

---

[1] وتسمى بالنقلية أو السمعية وهي: ما كان السبيل إلى إثباتها طريق السمع فقط، وهو الخبر الصادق عن الله تعالى، أو عن رسوله- ﷺ- أما العقول بمفردها فليس لها سبيل إلى إثباتها.

[2] انظر:شرح النووي على مسلم، ط2، 1392هـ، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ج24/5.

[3] انظر: سنن أبي داوود،طبع سنة 1408هـ، ج3/ 227، التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة، المطبعة المنيرية، 1354هـ، ص81. السنن الكبرى للبيهقي، د ت، دار صادر(بيروت)، ج57/10.

[4] انظر: كتاب الإيمان: ابن منده، ط3، 1407هـ، مؤسسة الرسالة(بيروت) ج1/ 230.

الحق، وإن أنكرت فقد خالفت الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[1] فمما سبق يتبين أن المدرسة السلفية جعلت من هذا الحديث وخاصة من الرواية الأولى دليلًا على إيمان الإنسان، ولكن لماذا أغفلوا الرويات الأخرى؟، ثم هل يصح أن يكون مثل هذا الحديث فيصلًا بين الإيمان والكفر وهو حديث أحادي وله أكثر من رواية؟.

2- إثارة قضايا ليست محل خلاف بين عامة المسلمين اليوم؛ مثل قضية خلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، ولو عرضت عليهم في صورة تقريرية من غير إشارة إلى الخلاف لكان أجدى وأنفع.

3- التوسع في إطلاق عبارات وأحكام التكفير والتفسيق والتبديع سواء في الأصول أو الفروع، مما كون حاجزا نفسيا بينهم وبين مجتمعاتهم التي تحتاج إلى تعليم وتوعية وتربية أكثر من حاجتها إلى مثل هذه الأحكام؛ حتى أصبح كل مبتدأ في طلب العلم يكفر ويبدع علماء أجلاء يطلبون العلم منذ نعومة أظافرهم.

منهج لايضل به الإنسان

المبحث الثالث: – منهج القرآن الكريم والسنة في عرض العقيدة.

أولًا: منهج القرآن في عرض العقيدة الإسلامية. لا شك أن منهج القرآن الكريم لايجارى ولا يبارى في أسلوبه وعرضه للعقيدة؛ "معتمدا في ذلك منهجا فريدا يتسم بالدقة والاستدلال، ووضوح البينة، وبساطة الفكرة وعمق تأثيرها، وقوة سلطانها على قلب الإنسان وعقله على سواء، وابتعد المنهج القرآني عن صور التعقيد الذهني والعقلي كافة.. تجعل من العقيدة موضوعا شائكًا، وبحثا عقليا جامدا، لايستثير كوامن الإنسان الفطرية، ولا يحرك مشاعره فهي وإن أفلحت في مخاطبة عقل الإنسان أهملت روحه ولم تلن قلبه[2]، فالأجدى والأنفع الجمع بين الحسنيين. ولذا فإن القرآن الكريم بنى منهجه في تأسيس العقيدة على مناهج عدة؛ منها:

1- المنهج الوجداني(مخاطبة الوجدان واستثارة كوامن الفطرة الإنسانية): وهو منهج يرتكز على القلب ويحرك الشعور والوجدان، وقد ورد هذا المنهج في القرآن بطرق كثيرة على قضايا عقدية متنوعة؛ منها الشعور الفطري؛ فالإنسان مفطور على الإيمان مدفوع بفطرته إلى البحث عن خالق هذا الوجود، والإيمان به، قال تعالى:" وإذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة.."[3] وقد ظهر المنهج الوجداني في القرآن الكريم

---

[1] انظر: مختصر العلو للذهبي: الألباني، ط1، 1401هـ، المكتب الإسلامي، ص 65 .

[2] انظر:تدريس التربية الإسلامية: ماجد زكي الجلاد، ط1، 2004م، دار المسيرة(عمان) ص332.

[3] انظر: سورة الأعراف: الآية 172.

من خلال أساليب الترغيب والترهيب، كذكر أهوال يوم القيامة وجزاء الأعمال يوم القيامة، وإحياء قضية الإيمان وبيان أثرها على الإنسان[1].

2- **المنهج العقلي**(مخاطبة العقل والإدراك): فقد خاطب القرآن الكريم قوة الإنسان الإدراكية والعقلية، معتمدا على أدلة الخلق والهداية والعناية، ومقربا المعاني المجردة من خلال التمثيل لها بعالم الحس والمشاهدة، فوجودالله تعالى، الحقيقة العقدية الكبرى، تم إثباتها من خلال توجيه نظر الإنسان وقله للتأمل والنظر في مشاهد الكون المحسوسة من الشمس والقمر والسماء وكل ما في الأرض قال تعالى:" ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم..."[2] وقد بين الشيخ حبنكة في كتابة العقيدة الإسلامية هذا الأمر فقال:" ولما كانت أسس القاعدة الإيمانية في الإسلام أسسا فكرية عقلية منطقية؛ فإن الطريق إلى إنشاء هذه القاعدة إنشاء صحيحا يجب أن يعتمد على منطق التفكير القويم والعلم الصحيح، وهذا ما لجأ إليه الإسلام في إنشاء قاعدته الإيمانية. وطريقة الإقناع القرآني بعناصر القاعدة الإيمانية هي التي هدتنا إلى هذه الحقيقة. أما خطة الإنشاء فبدأت بتحرير أرضية النفوس من كل العقائد الباطلة، التي ليس لها أساس منطقي أو علمي، وذلك بوسائل الإقناع الهادئ والمناظرة الحكمية الخالية من التعصب الذميم، وقد اعتمد الإقناع على الوسائل المنطقية العقلية والعلمية"[3] وقد ظهر هذا جليا في حوار الأنبياء مع أقوامهم من خلال ما حكاه القرآن الكريم، ومن خلال حوار النبيﷺ- مع قومه.

3- **المنهج الجدلي**.

فقد عالج القرآن الكريم بعض قضايا العقيدة من خلال أسلوب الجدال، مثل موضوعات إثبات وجود الله تعالى، ووحدانيته وإبطال ما عداها من الشرك، وإثبات النبوة وغيرها من القضايا التي جادل القرآن القرآن بها،" والجدال الذي استخدم في القرآن هو الجدال الحسن غير المذموم؛ القائم على إظهار الحق، بالأدلة والبراهين الصحيحة"[4] قال تعالى:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.."[5].

4- **المنهج الحسي المادي**.

---

[1] انظر: منهج سورة طه في عرض أصول العقيدة: عاطف عبد السلام عودة، رسالة ماجستير سنة 2005م، جامعة آل البيت(الأردن) ص53 .

[2] انظر: سورة الروم، الآية 22.

[3] انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة، ط11، 2002م، دار القلم(دمشق) ص64.

[4] انظر: منهج سورة طه في عرض أصول العقيدة، ص69.

[5] سورة النحل: الآية 125.

وهو المنهج الذي يرتكز على الحس، والمشاهدات والتجارب، وقد استعمل هذا المنهج من خلال الحديث عن الآيات الخارقة للعادة، وهي المعجزات الحسية التي أتى بها الأنبياء-عليهم السلام- لتدل على صدقهم[1].

5- **المنهج التقريري**. وقد استخدمه القرآن في توضيح قضايا إيمانية ، كقضايا تقرير أسماءالله وصفاته العلى وتوضيحها، وقضايا النبوات كاصطفاء الأنبياء وتنزيههم عن النقائص، وعصمتهم، وكذلك تقرير بعض قضايا اليوم الآخر.[2]. وعلى هذا فالمتأمل إلى منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة يلاحظ التنوع الذي تميز به القرآن الكريم، حيث استخدم أساليب متنوعة كالتأمل والتدبر، وإقامة الحجج والراهين، والحوار والنقاش، وضرب الأمثلة والتشبيه..

ونود أن نشير إلى قضية مهمة في عرض العقيدة من خلال منهج القرآن الكريم؛ وهي كيفية تحديد المنهج والأسلوب المناسب الذي يتم به عرض موضوعات العقيدة. والمتأمل إلى المناهج التي أشرنا إليها سابقا يجد أن كل منهج ارتبط بطبيعة الموضوعات؛ ذلك أن كل قضية عقدية يناسبها منهج ما دون آخر، فعلى سبيل المثال: موضوعات الغيب كالجنة والنار والشياطين تتطلب المنهج التقريري؛ إذ لا قدرة للعقل على معرفتها وحده، في حين قضايا وجودالله تعالى ووحدانيته-عز وجل- يناسبها المنهج العقلي الاستدلالي وهكذا.

ولهذا كان من خصائص وسمات المنهج القرآني؛

1- أنه يخاطب العقل والقلب معا؛ فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا وعلى مستوى واحد، فمن نظر إلى كلام الناس من الفلاسفة والحكماء، وكلام الأدب والشعراء لم يجد إلا غلوا في جانب وقصورا في الجانب الآخر.

فالحكماء يقدمون ثمار عقولهم، وعصارة أفكارهم غذاء لعقلك من غير أن تتطلع نفوسهم إلى إشباع عاطفتك. والشعراء يقصدون إثارة وجدانك وتهييج عاطفتك، ولا يبالون بما صوره لك أن يكون حقيقة أو خيالًا.

أما القرآن فإنه يجمع بين الحجة العقلية البرهانية وقوة المتعة الوجدانية والعاطفية؛ لأنه كلامالله لا يشغله شأن عن شأن؛ انظر إلى قوله تعالى:" لو كان فيهما آلهة إلاالله لفسدتا" تدبر كيف اجتمع في كلمات سبع عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير ما يعقَب التنازع من الفساد الرهيب. في حين أنه لو أتى الفلاسفة بتقرير مثله لما استطاعوا إلا بعبارة طويلة جافة كما هو واضح في دليل التمانع.

---

[1] انظر: منهج سورة طه في عرض أصول العقيدة، ص41.

[2] انظر: المصدر السابق، ص89.

2- أن العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم عقيدة عملية؛ بمعنى أنه جاء بعقيدة مناسبة مع واقع الإنسان من حيث قدرته العقلية والروحية والنفسية. "فمسائل العقيدة كلها دافعة للإنسان لتحقيق الغاية التي من أجلها خلقهالله، ومن أجلها أنزله إلى هذه الأرض. فإذا تحدث القرآن عن الغيب لم يتحدث إلا بالمقدار الذي يثمر عملاً وسلوكًا حسنا، فهو لا يتحدث عن الغيب حديثا فلسفيا نظريا"[1].

ففي باب الأسماء والصفات لاتجد إسما أخبرناالله به إلا وله تأثير عملي في سلوك الإنسان؛ فالعاصي الذي يقرأ" إنالله غفور رحيم" يتيقن أن معصيته لن تحول بينه وبين الخير أبدا، فليستفر وليتب ولا ييأس ولا يقنط، وإذا قرأ المكابر المعاند: إنالله هو القوي الجبار، القهار، المنتقم، فإن هيبة هذه الأسماء تحطم كبرياءه في داخله، وتقوده في الميدان الصحيح.

ولكن لو حدثناالله تعالى عن العلم أهو هو؟ أم هو غيره؟ أم لا هو هو ولا هو غيره؟ لا شك أن القرآن الكريم يستطيع أن يجيبنا عن هذه الأسئلة، ولكنه سكت عنها.

3- إنها عقيدة عامة تناسب جميع المكلفين؛ لأنها جاءت لهم جميعا قال تعالى:" تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا"[2] فلذا تستطيع أن تقدم عقيدة القرآن إلى الطفل الصغير كما تستطيع أن تقدمها إلى الفيلسوف الكبير، والسبب أن القرآن الكريم هدف إلى أن يكون للناس كل الناس، فاتخذ المنهج الكفيل بتحقيق هذه الغاية، واتبع الأسلوب القادر على إقناع الناس جميعا.

وقد يسأل الإنسان إذا كان الأمر هكذا لماذا اختلفت المدارس الإسلامية في آيات العقيدة؟

أقول: إن الإشكال لم يأت من الآيات نفسها، وإنما لأسباب لا علاقة لها بمقصود النص؛ ومنها:

- قد يأتي النص واضح المعنى، لكن العقل البشري يريد أهن يصل من خلال النص إلى الغيب الذي لايعلمه إلاالله، فيحدث الاتباك والخلاف، فلو قرأ المسلم قوله"وهو بكل شيء عليم" هذا النص واضح واضح لايوجد فيه إشكال، لكن الفلاسفة قالوا: إنالله لا علم له بالجزئيات؛ لأن تعدد المعلومات وتجددها يؤدي إلى قيام الحوادث بالله-تعالى- وهو محال، وقال الأشاعرة: صفة العلم ليست هيالله وليست غيره، بل هي معنى قائم به، فمن أين جاء الإشكال؟[3]

- قد يأتي النص القرآني واضح المقصود لا يختلف عليه اثنان، ولكن النص فيه كلمة تستخدم في اللغة أكثر من استخدام، وقد يكون واحد من استخداماتها له علاقة بالغيب الذي لايعلمه. فترى البعض يترك المعنى الظاهر المقصود ويتجه إلى هذه الكلمة بالذات ويحاول أن يصوغ منها فلسفة خاصة؛ مثل كلمة العين عند إضافتها إلىالله تعالى في قوله تعالى:"إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع

---

[1] انظر: العقيدة في القرآن الكريم: د. محمد الكبيسي، ص29.

[2] انظر: سورة الفرقان، الآية 1.

[3] انظر: العقيدة في القرآن الكريم: د. محمد الكبيسي، ص39.

على عيني..."[1]. فالعين في اللغة تحمل معنى الباصرة، وفي السياق هنا كناية عن العناية والرعاية، فيأتي الإنسان ويبحث في العين أهي مفردة على ظاهرها؟ أم هي إفراد قصد به المثنى؟ أم إفراد قصد به الجمع؟ والذي يؤول أهو كافر أم مؤمن؟.... فذهذ الأسباب وغيرها الكثير تبين أن الإشكال لايأتي من النص وإنما يأتي من الإنسان نفسه.

4- عقيدة القرآن مرتبطة بغيرها من تفاصيل هذا الدين؛ وهذا ما نراه من ارتياط الجوانب التشريعية والتكليفية بالعقيدة، ففي الجانب التعبدي قال الله تعالى:" الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم....."[2]

– الجانب الأخلاقي: قال تعالى" وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل"[3]، وغير ذلك من الجوانب الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع، تجدها مرتبطة بالعقيدة اتباطا وثيقا؛ ويؤكد أن العقيدة القرآنية ليست عقيدة نظرية مجردة، وإنما هي عملية.

ثانيا: منهج السنة في عرض العقيدة

السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهي مؤكدة ومبينة لما جاء به القرآن الكريم، وقد اهتمت اهتماما كبيرا في بناء العقيدة في قلوب الناس، فخاطبتهم بما خاطب به القرآن الكريم، وقد تنوعت أساليب ومناهج الخطاب النبوي في مخاطبة الناس في أمور عقيدتهم؛ ومنها:

- المنهج الفطري والتأكيد على دليل الفطرة فضية الإيمان بوجودالله تعالى؛ قال رسولالله-صلىالله عليه عليه وسلم-"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[4] وهذا الحديث موافق لقوله تعالى:"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرتالله التي فطر الناس عليها"[5].

- ربط المسائل العقدية بالأمور الحياتية؛ وذلك من خلال سلوك الناس وتصرفاتهم، وهذه نقطة مشتركة بين القرآن والسنة؛ حيث تكرر الخطاب في الآيات بـ" يا أيها الذين ءامنوا" وفي السنة بـ"والله لا يؤمن".

- استخدم النبيﷺ- منهج الاستدلال العقلي المبني على قواعد التأمل والتفكير والقياس العقلي في إثبات الحقائق الإلهية، وأهمها وجودالله تعالى، فاعتمد على طريقين:

---

[1] انظر: سورة طه الآية 38-39.

[2] انظر: سورة آل عمران الآية 191.

[3] انظر: سورة الحجر الآية 85.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم 1385، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ط1، 1419هـ، بيت الأفكار الدولية(الرياض) ص268.

[5] انظر: سورة الروم الآية 30.

أ- طريق التأمل والتفكير العقلي للوصول إلى النتائج السليمة.

ب- طريق الجدال العقلي واستخدام الحجج العقلية للوصول إلى النتائج المطلوبة.

فإما أن يستدل من ذاته عند تأمله على خالقه سبحانه وتعالى، وإما أن توصله الحجة المقنعة إلى الخالق؛ الخالق؛ فأكد النبيﷺ- من خلال توجيهاته اعتماد أسس التفكير العقلي السليم، بدءا من الابتعاد عن بدءا من الابتعاد عن التقليد الأعمى، ولفت الأنظار إلى ضرورة تقييم الموروث وإعادة التفكير به [1].

ففي صحيح البخاري عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلى لنا رسول‌الله -صلى‌الله عليه وسلم- صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا:الله ورسوله أعلم، قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل‌الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب"[2] يشير الحديث إلى بناء التفكير العلمي المنهجي الذي ينبني على أساس من التفكير العقلي السليم، فيكون الاعتقاد بأن هذه الكواكب هي سبب نزول المطر أمر ينكره العقل، ويمنعه التفكير المنطقي السليم، فيستدل العقل أن وراء نزول المطر قوة ربانية عظيمة تفوق قوة الكواكب[3] فالنبيﷺ- يدعو في هذا الحديث إلى إعادة النظر في الموروث، ونبذ التقليد الأعمى، التقليد الأعمى، والتسليم المطلق بما جاء به الآباء والأجداد، وعدم اتباع طرق الجاهلية وأهل الضلال، لما لها من تأثير على تعطيل العقل.

— استخدم النبيﷺ- المنهج التقريري في توضيح المبهم في القضايا الغيبية التي لا سبيل للعقل لمعرفتها سبيل للعقل لمعرفتها وإدراكها، واستخدم التبشير وأسلوب التشويق والتحفيز في حديثه عن الجنة ونعيمها، وفي ترغيب الناس بالعبادة. — داع من خلال توجيهاته إلى ضرورة التدرج مع الناس في معالجة قضايا العقيدة؛ حتى لا يفتنوا، ويصدوا عن الإيمان، فتغيير الموروث وما اعتاد عليه الناس لا يمكن أن يتغير بسهوله، ومن أمثلة ذلك حديثهﷺ- مع عائشةرضي الله عنها-:" ياعائشة، لولا أن قومك حديث ياعائشة، لولا أن قومك حديث عهدهم-قال ابن الزبير بكفر- لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس، وباب يخرجون"[4]، وغير ذلك من الأساليب التربوية التي وظفها النبيﷺ- في بناء

---

[1] انظر: مناهج وأساليب عرض العقيدة من خلال صحيح البخاري: العطار، ص40.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب: قوله تعالى"وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون"الواقعة: 82، حديث رقم 1038.

[3] انظر: مناهج وأساليب عرض العقيدة من خلال صحيح البخاري: العطار، ص46.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، حديث رقم 126.

وسلم- في بناء العقيدة كأسلوب القصص مثل حديث الغار، وأسلوب استثمار الأجداث والمواقف واعتنامها.

فهذه المناهج والأساليب المتنوعة تؤكد للمعلم الذي يعرض العقيدة على أفهام الناس أن لا يستقر على منهج أو أسلوب واحد؛ وإنما لا بد أن يستخدم منهج القرآن والسنة في تنوع الأساليب والمناهج في مخاطبة العقل والوجدان حسب طبيعة الموضوع و الأشخاص.

مقترحات في عرض العقيدة من خلال منهج القرآن الكريم والسنة.

المبحث الثالث: نماذج من المعاصرين الذين تناولوا العقيدة غرسا ودرسا.

ذكرنا سابقًا الدور الذي قام به علماؤنا المتقدمون في الدفاع عن الإسلام،وقد عرضوا العقيدة عرضا يناسب ظروف بيئتهم، ثم تغير العصر الذي بعده ولكن عرض وأسلوب العقيدة لم يتغير، فأصبحت العقيدة تدخل العقول ولم تدخل القلوب، حتى قيض‌الله تعالى علماء أجلاء أيقظوا العقيدة في عقل وقلب المسلم. وسنعرض نماذج من هؤلاء العلماء؛ منهم:

- الإمام بديع الدين النورسي[1]

عاش العلامة بديع الزمان في فترة سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية، وما تلا هذا السقوط من موجات إلحاد عاتية، وإرادة الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي، وهي الهيمنة التي طالت الأرض لامتصاص خيراتها، كما طالت الإيمان لإسقاطه من القلوب وملئها بالشبهات والضلالات. وقد وصف الإمام النورسي هذا الواقع المؤلم والوضع المتأزم:" إن الذي يواكب خيالاً زمن تأليف رسائل النور ونشرها يجد أن الأمة، أمة الإسلام تمر في أحلك فترات حياتها، حيث تجتاح سيول الظلمات، ظلمات الفتن العاتية أرجاء العالم الإسلامي كافة، وتغزو الشبهات والأفكار الباطلة العقول والقلوب من كل صوب، فأظلمت النفوس واختنقت الأرواح حتى انقطع الرجاء.."[2] ، ولذا فخصائص البيئة التي عاش فيها الامام النورسي كالتالي:

---

[1] ولد سعيد النورسي في قرية نورس الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (1294هـ – 1877م) من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته نورس ينسب. اسم والده ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة أسباريت أما والدته فاسمها نورية بنت ملا طاهر من قرية بلكان وهي من عشيرة خاكيف والعشيرتان من عشائر قبائل الهكارية في تركيا.انظر مقدمة رسائل النور، دار المأمون للنشر(الأردن).

[2] انظر: الكلمات ص898.

– طغيان الإلحاد وأصحابه أمام الإيمان وأهله وفي هذا المعنى قال النورسي: "إن أهل الضلال والإلحاد، يبدون تمرداً غريباً، وحماقة عجيبة إلى درجة تجعل الإنسان نادماً على إنسانيته، وذلك في سبيل الحفاظ على مسلكهم المعوق لصحوة الإيمان"[1]

– فشو الشبهات الفلسفية التي كادت أن تعكر صفو الإيمان على أصحابه: وقد وصف النورسي هذه الظاهرة بقوله: "إن أهل الإيمان –في الوقت الحاضر– محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جليلة نزيهة بحيث لا يمكن أن تكون وسيلة للوصول إلى شيء، ولا تابعة لأي شيء كان، ولا سلماً للوصول إلى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو أي قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تنال منها. فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة الـنـزيهة لترشدهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة"[2].

– انتشار ظاهرة الافتراءات والشتائم التي طالت شخص النبي صلى‌الله عليه وسـلـم ورسالته، وهو الواقع الذي وصفه النورسي قائلا: "في هذا الزمان بدأ هجوم هدام ومدمر على الإسلام وعلى القرآن من جميع الجهات وبدأت الافتراءات تكال للقرآن وللنبي مُحَمَّد صلى‌الله عليه وسـلـم ومحاولة النيل من من تلك الذات السامية الرفيعة، في حين تسمح بالكتب التي تنفث سموم الإلحاد والانسلاخ من الدين والأخلاق، وتكال المدح والثناء لأشقياء من أعداء الإسلام"[3].

– امتداد الإلحاد الشيوعي خارج حدود موطنه الأصلي وتهديده لحقائق الإيمان في البلدان التي وصل إليها ومن بينها تركيا "وكذا الشباب والشيوخ لاشك أنهم بأمس الحاجة إلى دروس يقينية وراسخة في إثبات وجوده تعالى وإثبات وحدانيته سبحانه. حيث يقرأون ما تكتبه الصحف من هجوم الروس على الإيمان بهجمات الإلحاد الرهيبة، وإنكار الخالق العظيم."[4]

وقد دفعت هذه الأمور الإمام النورسي إلى الوقوف أمام هذه الهجمات بفكره وعقله وكيانه وحركته، فأخرج جيلاً تربى على رسائل النور حتى أرسى العقيدة الصافية في قلوب المسلمين؛ فعدد أساليب عرضها، بتعدد الجغرافيات الفكرية والأسئلة المطروحة، "وقد اقتنع يقيناً أنّ أسلوب علم الكلام القديم قاصر عن رد الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، فينبغي تحصيل العلوم الحديثة أيضا"وقد حقق تشخيصه الداء هذا وهو الشاب اليافع تـهيئة الأجواء للخدمة القرآنية العظيمة والعمل الإسلامي الجليل في المستقبل، إذ وفقه سبحانه وتعالى بعد حوالي ثلاثين سنة إلى تأليف رسائل

---

[1] انظر: سيرة ذاتية ص199..

[2] المصدر السابق ص371.

[3] الشعاعات ص604.

[4] المصدر السابق ص628.

النور التي تجدد في علم الكلام. فطفق يطالع كتب العلوم الحديثة حتى استحصل على أسسها من تاريخ وجغرافية ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة وأمثالها من العلوم. وذلك خلال مدة قصيرة جداً. وسبر أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرس يدرسها إياه"[1]

ولذا فمنهج الإمام النورسي في عرض العقيدة يقوم على الأمور التالية:

- الالتزام بمنهج القرآن الكريم.

القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه وآياته، والذي يعد موردا لا ينضب مهما اغترف منه الواردون، اذا ما اعترى المسلم الشبهات أو تعرض إيمانه لأوبئة الفكر وجراثيمه كان القرآن بمثابة المصل المضاد الذي يمنح قلب المؤمن مناعة تقيه من ضرر تلك الشبهات. "إن هذه الآيات الكريمة تلزم جميع أقسام أهل الضلالة وتسكتهم، وتسدّ جميع منابت الشبهات وتزيلها، وذلك بلفظ: أم .. أم، بخمس عشرة طبقة من الاستفهام الإنكاري التعجبي، فلا تدع ثغرة شيطانية ينزوي فيها الضلالة إلاّ وتسدها، ولا تدع ستاراً يتسترون تحته إلاّ وتمزقه، ولا تدع كذباً من أكاذيبهم إلاّ وتفنّده. وتفنّده. فكل فقرة من فقراتها تبطل خلاصة مفهوم كفر تحمله طائفة من الطوائف الكافرة؛ إما بتعبير قصير وجيز، أو بالسكوت عنه وإحالته إلى بداهة العقل لظهور بطلانه، أو بإشارة مجملة إذ قد رد ذلك ذلك المفهوم الكفري وأفحم في موضع آخر بالتفصيل"[2].

- الابتعاد عن جدل المتكلمين في مسائل العقيدة.

تبني الامام النورسي المنهج القائم على مبدأ السلامة والميل عن الجدل العقيم، وإذا ما تطلب الأمر شيئا من الجدال فليكن محصورا بحالة الضرورة كمناقشة الخصوم والرد على الشبهات، وبأن يكون بعيدا عن عوام الناس، وقد أجاب بعض طلبته حينما أورد عليه سؤالا متعلقا بالقدر الإلهي، بعد أن اعترته بعض الشبهات فقال: "لقد سألتموني في تلك الليلة سؤالاً لم أجب عنه، لأن البحث في المسائل الإيمانية والخوض فيها على صورة مناقشات غير جائز... لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة – كالمذكورة– بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذ إلى سموم، لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً. وإنما يجوز ذلك عند فراغ البال وسكون القلب وتوفّر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلا"[3].

- تقرير حقائق المعتقد بلغة عصره وتقريبها بأمثلة حية من العلوم المادية التي كان الناس يقدسونها في زمانه، فكان يستعين بالعلوم الحديثة في عرض مسائل الإيمان؛ لذلك كثيرا ما نجده مسترشدا بعلم

---

[1] انظر: سيرة ذاتية ص6.

[2] انظر: الكلمات ص445.

[3] انظر: المكتوبات ص50، 54.

الصيدلة أو الفلك أو الطب أو غيرها في شرح مباحث العقيدة وعلى رأسها مبحث الإلهيات، "ذلك أنّ النورسي اقتنع يقيناً في مقتبل العمر أنّ أسلوب علم الكلام القديم قاصر عن ردّ الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، فينبغي استحصال العلوم الحديثة أيضا[1].

ففي مقام الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وتفرده بالخلق والصنع، انطلاقا من دلالة الصنع المتين على الصانع الحكيم، نجد النورسي يوظف مبادئ علم الصيدلة لتقريب المسألة وتقريرها في الأذهان فيقول: "فمثلاً: لو كانت هناك صيدلية ضخمة، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة؛ فكما أنها ترينا أن وراءها صيدليا حكيماً، وكيميائياً ماهراً، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء نباتاً وحيواناً، وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة. فهذه الصيدلية الكبرى تَري حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وانتظامها وعظمتها، قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق، وفق مقاييس علم الطب الذي تقرؤونه"[2].

وهكذا فقد وظف النورسي ببراعة منقطعة النظير العلوم الطبيعية وعلوم الفلك والفيزياء...في نصرة الإيمان والدفاع عن التوحيد، وبيان أن هذه العلوم عبارة عن أصابع من نور تشير إلى آثار الربوبية والألوهية المبثوثة في هذا الكون الفسيح، ولكن لمن كان له قلب حي وعقل يتفكر في ملكوت الله"[3]

– عدم إبعاد نتائج العقيدة عن تقرير حقائقها، وهي التربية على الأخلاق والفضائل التي تستمد من نصوص العقائد؛ فكثير من معلمي العقيدة يغفلون عنها في الدرس العقدي، فيصبح بذلك جافاً لا رصيد له.

فأدخل في درسه التخلق بمضامين العقيدة؛ فنجده يكثر من التذكير بجلال الله تعالى وجماله وإحسانه لعبادته وحكمته في خلقه وكماله؛ ليلفت نظرنا إلى التخلق بهذه الأخلاق، والربط بين الإيمان وآثاره النفسية؛ وهذه كلها تدخل تحت موضوعات العقيدة في الألهيات والنبوات والسمعيات.

---

[1] انظر: سيرة ذاتية – ص: 62.

[2] انظر: الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة – ص: 175.

[3] انظر: الكلمات الكلمة الثالثة والثلاثون – ص: 809.

ثانيا: الشيخ مُحَمَّد الغزالي[1]، ومنهجه في عرض العقيدة

أسهم الشيخ المجددمُحَمَّد الغزالي في تجديد عرض العقيدة بالعودة إلى المنهج الصافي وهو القرآن الكريم، حيث قدم في كتابه: "عقيدة المسلم"، وغيره من الكتب منهاجا متميزا في تناول العقيدة الإسلامية، وهو يقوم على الأمور التالية:

أولا: التقليل من الجدل الكلامي في الدرس العقدي

فقد قلل الشيخمُحَمَّد الغزالي في تناوله علم التوحيد مما شابه من الجدل الكلامي والفرق الكلامية التي جرَّت بجدلها ومصطلحاتها على العقيدة ما شوَّش حقيقتها، وعلى الإيمان ما عكر صفوه، وأبعده عن تحقيق أهدافه وغاياته.

فيبين الشيخ الغزالي ما صار عليه في عرضه للعلم فيقول: "وقد بذلت جهدي . حين تصديت لتصوير عقيدة المسلم . أن أتجنب أشواك هذا الخلاف، فإذا استطعت طيَّه في السياق المطرد طويته وتجاهلته، وإذا اضطُررتُ إلى خوضه عالجته على كره، وذكرت ما استبان لي أنه صواب، وقد أستجهل الطرف المقبلَ ولا أكفّره؛ لأن الجهل الفاضح -كما ظهر لي- أساس كثير من المشكلات العلمية المبهمة، وربما لمحت في أَخلاق بعض المجادلين عوجا، وفي أسلوبهم عنفا، فأوثر مغفرة هذا على مقابلة السيئة بمثلها؛ لأننا أمة فقيرة جدا إلى التجمع والائتلاف، فلندفع هذا من أعصابنا، والمرجع إلى الله"[2]

وفي سياق مناقشة الصفات وعرض أقوال من ذهبوا للتأويل الذي أوقعهم أحيانا في التجسيم أو التعطيل يقول الشيخ: "كنت أود لو كف المسلمون الأوائل عن خوض معارك الجدل في الموضوع، أو لو استبان بعضهم وجهة نظر الآخر بدقة".

ويفصح الشيخ في هذا السياق عن مذهبه في التأويل من عدمه فيقول: "وأنا شخصيا أُوثر مذهب السلف، وأرفض أن يشتغل العقل الإسلامي بالبحث المضني فيما وراء المادة، وأرتضي قبول الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافا لله . جل شأنه . دون تأويل"[3]

---

[1] انظر: مُحَمَّد الغزالي، مفكّر إسلامي بارز، وداعية متميز بالعطاء الفكري والعلمي، يعتبر من العلماء المجددين، كان غزير الإنتاج حيث صدرت له العديد من الكتب المرجعية في الفكر الإسلامي المعاصر، ولد مُحَمَّد الغزالي السقا الجبيلي يوم 22 سبتمبر/أيلول 1917 في قرية نكلا العنب بميت غمر في محافظة البحيرة من أقاليم مصر، شغل الغزالي عدّة مناصب دينية منها: إدارة المساجد، والإدارة العامة للدعوة الإسلامية عام 1391 هـ الموافق لعام 1971، ومنصب وكيل وزارة الأوقاف لشؤون الدعوة عام 1400 هـ الموافق 1980، كما تولّى التدريس بالأزهر، توفي مُحَمَّد الغزالي بالرياض يوم 9 مارس/آذار 1996 أثناء اشتراكه في ندوة الإسلام والغرب، ودفن بالمدينة المنورة وفق وصيته. انظر: مُحَمَّد الغزالي عالم مجدد ناهض الاستبداد والجهل، http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/10/23/

[2] انظر: راجع: عقيدة المسلم: 7-11 ، دار الدعوة بالإسكندرية. الطبعة الرابعة. بدون تاريخ.

[3] انظر: نفس المصدر: 39: 40-44..

ثانيا: مراجعة علم العقيدة من حيث الشكل والمضمون:

ومن معالم المنهج عند الشيخ مُحَمَّد الغزالي في تناول علم التوحيد أنه راجعه من حيث الشكل والمضمون؛ حيث يرى أن كتب علم التوحيد التي تشيع بيننا الآن فَشِلَتْ في أداء رسالتها شكلا وموضوعا:

ولذا قدم الشيخ الغزالي . يرحمه‌الله . في كتابه هذا أنموذجا طيبا من حيث الشكل والمضمون، فلم يكتف بالتنظير ولا بالكلام بعيدا عن التجربة، وإنما خط بقلمه هذا المثال ليكون تطبيقا على التنظير، وما أكثر ما ننظّر في حياتنا لقضايانا ومشكلاتنا دون أن نضع حلولا عملية وتجارب تطبيقية لما نقرره من تنظير.

فمن ناحية الشكل صاغ الشيخ الغزالي موضوعات علم التوحيد بأسلوب رائق وبيان باهر وطريقة أخاذة تجعلك لا ترتضي إذا فتحت الكتاب إلا أن تصل إلى آخره، والشيخ الغزالي رقيق الطبع صافي النفس، شاعر مطبوع بارع، أديب من طراز نادر تشعر في عباراته النثرية أنها شعر منظوم. على أنه جرد العلم من المتون والحواشي وعرضه بشكل بسيط يقرؤه الخاصة والعامة ويستفيد منه العلماء وغير العلماء.

وأما من ناحية المضمون فكما قلنا: إنه نقاه من شغب الفرق الكلامية وجدلياتها إلا في أضيق الحدود، وتناول قضايا العلم بطريقة تثمر آثاره في النفس والقلب كما في العقل والفكر سواء بسواء.

وحسبك أن تقرأ ما كتبه في باب: "الكمال الأعلى"؛ حيث تناول الحديث عن: القدرة، والإرادة، والحكمة، والحياة، والعلم، والسمع والبصر، والكلام، وأنت أنت‌الله. فابتعد في تناوله لهذه الموضوعات الموضوعات عما يثيره الكلاميون من قضايا نظرية تفتح باب الجدل والخلاف، ولا تثمر إلا الجدب والفقر في مجال العقيدة الإسلامية. ترك كل هذا وتناول مظاهر هذه المعاني في الكون وفي النفس وفي الآفاق بطريقة تسكب الإيمان سكبا في القلب، وتقنع العقل إقناعا بما يتناوله. ويصعب علي في هذا المقام أن أسرد أمثلة لأن مجال القول ذو سعة والأمثلة كثيرة وأخاذة وكلها معبر ومبين، فيحسن بالقارئ أن يطالع هذه الموضوعات في صفحاتها هناك[1].

ثالثا: الرجوع إلى المنبع الصافي القرآن الكريم والسنة النبوية:

وهذه من أهم المعالم عند الشيخ في علم العقيدة الإسلامية؛ حيث كان يأخذ مباشرة من النصوص، ويتعامل معها دون أن يكدر صفوها بما يطفئ نورها وأثرها بين يدي الجدل والشغب والمناظرات والحجاج العقلي الذي كادت العقيدة أن تتيه وسط ركامه.

---

[1] انظر: عقيدة المسلم: 80-94، وراجع أيضا ما كتبه في باب: "القضاء والقدر" في عقيدة المسلم: 96-119.

يقول الشيخ: "إن غرس العقيدة في الأفئدة لن يثمر ويزدهر إلا بأسلوب الإسلام نفسه، ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية، وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث إلا اقتباسات يسيرة، تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة! ربما استراح عشاق البحث الفلسفي المجرد لهذه الكتب، ولا عليهم! لكن هذا لا يغنينا عن عرض العقيدة الخالصة حقائق تتصل عن قرب بمصادرها الأولى"[1].

- وفي الرجوع إلى منهج القرآن الكريم فوائد عدة بينها الشيخ رحمه‌الله:

لا يخلو من فوائد تعود على المؤمن؛ فحديث القرآن الكريم عن‌الله يمزج بين أمرين:

الأول: فقر العالم إلى‌الله وقيامه به واستمداده الوجود منه، أي أنه من المستحيل أن يتخلق من غير الخالق، أو ينتظم من غير منظم.

والثاني: أن هذا الخالق المدبر واحد لا شريك له، ليس له ند أو ضد، كل شيء هالك إلا وجهه! كل شيء من إنس أو جن أو ملك أو عبد قنٌّ له وحده، يستوي في هذه العبودية حيوان مُسْتَخْفٍ تحت التراب، أو ملَك ساجد تحت العرش المحاور[2].

وفي فائدة ثالثة يشير الشيخ إلى أن شرح حقيقة التوحيد في الأسلوب القرآني يمحو آثار الإلحاد، وينفي وينفي شبهات الملحدين، وبذلك تتعانق أدلة الوجود الأعلى وأدلة التوحيد المطلق في نسق فذ"[3].

فالحديث عن‌الله . تبارکت أسماؤه . يتخذ في القرآن أسلوبا قريبا من الفطرة، سريعا إلى العقل، بعيدا بعيدا عن الغموض والتعقيد، مفعما بالوضوح والإشراق"[4].

رابعا: الجمع بين الحجة العقلية والمتعة القلبية.

وهو منهج إسلامي صميم، فالإسلام في شعائره وشرائعه، وعقيدته وعباداته، وأخلاقه وآدابه يستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية، وإذا كان تناول العقلانيين منصبا ومهتما بالجانب العقلي فقط بما تدل عليه مصطلحات المناظرة والمجادلة والحجاج، واقتصر تناول الصوفية على مخاطبة القلب فقط، فإن الشيخ مُحَمَّد الغزالي قد وقف موقفا وسطا جمع فيه بين إقناع إقناع العقل وإمتاع القلب[5].

---

(1) انظر: عقيدة المسلم ص12.

(2) انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص22.

(3) انظر: مائة سؤال عن الإسلام ص 150.

(4) انظر: نظرات في القرآن: 62. دار نهضة مصر. ط. سادسة. 2005م، ص62.

(5) انظر: منهج الشيخ الغزالي في تناول العقيدة: د. وصفي أبو زيد، ورقة بحثية سنة 2008م..

يقول الشيخ . يرحمهالله . ناعيا على الأسلوب الذي تناولت به كتب الكلاميات هذا العلم: "وقد كنت أرقب عن كثب ما تخلفه دروس التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقا يذكر لدى السامعين بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلا، كلاهما ترويض للعقل مبتوت الصلة بالفؤاد، فكان الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم "لواجب الوجود"، ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال، أو يختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سواه، وألهمه فجوره وتقواه، أفهكذا تدرس العقيدة؟!"

ثم يقول مبينا المنهج الذي سار عليه في كتابه عقيدة المسلم: "وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحية، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني"[1].

خامسا: الاستفادة من النتائج العلمية في تعميق الإيمان

أفاد الشيخ محمد الغزالي بنتائج البحث العلمي في بحثه عن العقيدة، ووظفه أحسن توظيف في الدلالة على وجودالله وقدرته وهيمنته على ما في الكون، يقول في ذلك: "إن العقل الذكي والبحث النزيه والفكرة المبرأة عن الغرض، المستقيمة على النهج تتأدى بأصحابها حتما إلىالله وتَقفُهم خاشعين أمام الشعور الغامر بعظمته وجلاله. وإن من الغباوة والبلادة أن يظن السفهاء من الناسَ أن الإيمان وليد استغلاق الذهن، أو أن استبحار العلوم واتساع المعارف الإنسانية يخدش قاعدة الإيمان، ويوهن الصلة بالإله الديان"

ويجمع الشيخ الغزالي هنا . كما هو واضح . بين الإفادة من نتائج البحث العلمي والتأمل وإعادة النظر والتفكر والاعتبار بما في الكون والآفاق من دلائل على وجودالله تعالى، ومع كثرة هذه الدلائل العلمية والكونية، فإن العالم لم يخل من منكرين يجحدون الحق ويكفرون بالله.

وتحت عنوان "القدرة" يقول الشيخ: "لا تحسبن شيئا في الكون قادرا بنفسه، فكما أن القدرة أبدعته أولا من عدم، فقد أودعت فيه من أسرارها، وبثت فيه من آثاراها ما يدل عليها، وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة إلى مجهول محض، أو قوى كامنة في المواد والعناصر المختلفة، وهذا تخريف شائن، وتسفيه للعقل، ومغالطة للواقع. إن النور المتولد عن انتشار الكهرباء في الأسلاك، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة في المواسير، والحديد المرتفع في الجو نتيجة تغيير المراوح الدائرة لمقادير الضغط حول الطائرة . كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العناصر المخلوقة فيهب لها مرتبة الوجود المستقل، فضلا عن الإيجاد الرائع"[2].

---

[1] انظر: عقيدة المسلم ص7، 8.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص80.

هذه بعض نماذج من العلماء الذين مزجوا في عرض العقيدة بين العقل والقلب والوجدان، وهناك نماذج أخرى ساروا على نفس منهج الامام النورسي أمثال شيخ الإسلام مصطفى صبري، والدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ سيد سابق، والشيخمُحَمَّد أيوب، وغيرهم ممن ساهموا في نشر العقيدة الصافية الصافية بين المسلمين.

خاتمة البحث

– إن العقيدة هي المحرك للإنسان، وهي التي تضبط توجهاته، وتحدد له ما ينبغي أن يفعل وما ينبغي أن يذر، وهي الذي تجلى له حقائق الأشياء، بل إنها تمثل إجابة الإسلام على الأسئلة الثلاثة التي حيرت عقول الفلاسفة من قديم الزمان، من أوجد الإنسان؟ وما الغاية من وجوده؟ وإلى أين المصير؟.
ولذا وفي ظل هذه الهجمة الشرسة على العقيدة الإسلامية من قبل الملحدين وغيرهم لابد من الأمور التالية:

– الدعوة إلى تبسيط المسائل الاعتقادية، فلا يطرح على المسلمين إلا الأصول الواضحة المتفق عليها ووقاية الناس من التفصيل والتفريع، ولا بأس بأن يعد علماء أكفاء متخصصين في العقيدة، يفرقون بين بين الوحي الإلهي المعصوم والفكر الإنساني القابل للزلل والخطأ.

– لا بد للعلماء من تناول قضايا العقيدة بالاعتماد على لغة القرآن وأسلوبه ومنهجيته في تأسيس الإيمان الإيمان ومخاطبة العقل والوجدان على حد سواء.

– تجنب عرض العقيدة الإسلامية من خلال الرد على الخصوم القدامى ودفع شبهاتهم؛ بل لا بد من بعث الفطرة الصحيحة، الموجودة في نفوس بني ءادم، ومعالجتها و تزكيتها بالأدوية الإلهية.

– ينبغي على العلماء والدعاة مراعاة العصر الذي يحيا فيه المسلم، واهتمامات أفراده كالاهتمام بمواجهة العلمانيين والملحدين وترك الخلافات الفرعية التي تؤدي إلى الشقاق بين الأمة الإسلامية.

– ضرورة الاستفادة من علوم العصر لا سيما القطعية منها ، التي ترسخ قضايا الإيمان في النفوس والبرهنة على عدم التعارض بين كلمات‌الله الشرعية وكلماته الكونية؛ مثل الإعجاز القرآني في العلوم التجريبية والتشريعية والاجتماعية.

هذا وأسأل‌الله التوفيق والسداد في أقوالنا وأعمالنا، وصلى‌الله على سيدنامُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، وسلم، والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع